« هَمزِيَّة جَيِّدة في نحو خمسة آلاف بيتٍ من البلاغة والغرابة بِمَكان .» [١]

وأغْرَبُ من ذلك ما يذكره عن قصيدة بعنوان « المقالات السَّنِيَّة في مدح خَيْر البَرِيَّة » ، وهي سيرة للرَّسول ، نَظَمها أحد علماء المغرب ، وهو عثمان بن عليّ ، مُعارِضاً بها بُردة البوصيري . ويقول الكَتّاني عنها إنها تقع في تسعة عشر ألف بيتٍ من الشّعر ، على بَحْرٍ واحد ورَوِيٍّ واحد . ولسنا نعرف في تاريخ الأدب العربي قصيدة واحدة بلغت هذا الطّول ، ويقول الكَتّاني مُعَلِّقاً عليها : « أعجبُ ما أَلِفَ في الإسلام ، وأبدعُ ما نُظِم ، نفاخرُ بها نَظْمَ الإلياذة .» [٢] غير أن الأبيات التي اقتطفها منها في كتابه لا تُصَدِّق هذا الحُكْم [٣] ؛ إذ هي كما تَبَيَّن لنا لا تزيد على كونها نظماً مغسولاً رديء النّسج ، تغلب عليه الرَّكاكة والتّكلُّف البالغ .

ويُفْهم من عبارة للمَقَّري في نَفْح الطّيب أن عالماً مغربيا عاش في القرن السّابع الهجريّ ، ويدعى الحسن بن عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم بن عُذْرة المَغْرِبيّ الأنصاريّ ، قام بجمع ما اطّلع عليه من مدائحَ نبويّة في كتاب بعنوان « مُنْتَهى السُّول في مدح الرَّسول » ، وهو يقع في خمسة وعشرين مُجَلَّداً على الأقلّ .[٤] وإذا كان هذا هو ما استطاع جمعه ذلك العالمُ المَغْرِبيُّ في القرن السّابع ؛ فما الظّنُّ بالمدائح التي استمرَّ نظمها في القرون التّالية ؟

* * *

على أنه يجب علينا أن ننبّه إلى أن القيمة الفَنِّيّة لكثير من هذا الشّعر محدودةٌ ضئيلة ، بل وتكاد تنعدم أحياناً ، فشرفُ الممدوح لا يمكن أن يَشْفَع

---

(١) التّراتيب الإداريّة ، ج ١ ، ص ٢٤ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) انظر أمثلةً منها في التّراتيب الإداريّة ، ج ١ ، ص ٣١ ، ٣٦ ، ٣٥٣ ، ج ٢ ، ص ٨٨ ، ١١٠ .

(٤) نفح الطّيب ، ج ٧ ، ص ٤٧٥ .